الانجيلي بيلي غراهام صانع التلاحم بين المؤسستين السياسية والدينية في أمريكا (2 من 2)

سر سطوته في الخطاب الغربي الديني وتفوقه على البابا ومارتن لوثر كينغ هو حذره وعدم تسرعه

كان وراء اقلاع بوش عن الادمان وتحوله الى مهووس ديني فقد «زرع المبشر حبة خردل» في روحه

د. عزالدين عناية*

فلسفة التبشير لدى غراهام

عموما تنصبغ التوجهات البروتستانية المحافظة في امريكا بخاصيات عقائدية مسيحانية، اي الاعتقاد في حلول مسيح مخلص يوما؛ وبالاخلاق اليهودية المسيحية، النابعة من تعاليم العهدين القديم والجديد؛ وبالتطلع لعهد الفي.

داخل ذلك الاطار العام، حامت رسالة التبشير لدى غراهام. الملاحظ ان النواة الرئيسية لدعوته لم تتغير على مدى ستين عاما تقريبا من نشاطه المتواصل. فمنذ بدايته، حدد غراهام مهمته في دحض المخاطر الثلاثة التي تهدد المسيحية الصائبة وهي: الشيوعية، والدين المحمدي «الاسلام»، وكاثوليكية روما، ولكنه الغى العنصر الاخير من جدوله لاحقا، على اثر تحالفات طرأت مع كنيسة روما. فعبر الاستماع للآلاف من مواعظه، وقراءة العشرات من كتبه ومنشوراته التي وقعها ـ والتي لم يكتبها بمفرده ـ يلاحظ تشابهها من حيث بنيتها. ففي كتابه: «سلام مع الرب»، الذي يبقى النص المحوري المعبر عن فلسفته، نجد المحاور الرئيسية لرؤيته اللاهوتية متلخصة في: التطلع للتقوى، والتمسك العقائدي الارثوذكسي، والعمل التبشيري. تصب بمجموعها في «الاهتداء»، واساسه ارساء علاقة مباشرة مع النص المقدس، كلمة الهية لا كاطار حاو للكلمة الالهية. فالاهتداء لديه، هو السياق الذي يسير فيه المسيحي ليولد من جديد، والمتجلي في حياة الفرد المهتدي، ذلك ان المولود من جديد انسان عاش تجربة المولد الثاني الخاصة، اي اللقاء المصيري مع المسيح. والكلمة في اصلها وردت في انجيل يوحنا 3: 3، حيث يتوجه المسيح (ع) الى الفريسي نيقوديموس بقوله: «الحق الحق اقول لك: لا احد يمكنه ان يرى ملكوت الله الا اذا ولد من جديد»، وسياق الميلاد الجديد الروحي هذا، يتكون من ثلاث مراحل: الوعي بحالة الخطيئة، والتوبة، وتقبل نعمة الرب عبر يسوع المسيح باعتباره المخلص.

فبشكل اجمالي تتلخص الرسالة في رؤية مسيحانية مبنية على تقابل مانوي ثنائي بين الموت والحياة، بين الخطيئة والنعمة، بين العذاب والخلاص، بين مملكة الخير ومملكة الشر. ولكن هذا اللاهوت الاخروي ظاهرا، يتعانق في افقه الاعلى مع توجهات الادارات السياسية الامريكية.

عموما تبقى الرسالة الدينية التبسيطية، بالشكل الذي يعرضه غراهام، متوجهة اساسا الى العامة ورجل الشارع، بما تتميز به من بساطة وما تحث عليه من توبة خلقية. «يقول الكتاب المقدس»، تلك كلمة غراهام المتكررة في خطاباته، حتى صارت بمثابة العلامة المميزة لعظاته. وهي بحث عن بناء يقين لدى المخاطب، في حضارة داهمها الشك في كل شيء، وافتقدت المعنى، وتساوى فيها المقدس بالمدنس، فصار سلوك هذا الطريق او ذاك معبرا عن ميل وهوى، يحدده ما يغرفه الفرد من لذة لا بناء على اختيار ارادوي. وخطاب غراهام ليس خطابا تساؤليا في النص المقدس، ولا فكرا قارئا لتجاويفه الدلالية والتأويلية، بل هو خطاب موعظة حسنة. يقول غراهام في كتاب «سر السعادة»، المنشور سنة 1955، ص: 56: «الانسان لا الكتاب المقدس الذي ينبغي اصلاحه»، في حين نجد اللاهوت الذي دعا اليه رفيقه البروتستاني كارل بارث (1886 ـ 1968) مختلفا مقصدا ومنهجا، يتوجه الى الخاصة اساسا، وهو في تناقض احيانا مع مقول غراهام الساذج والسطحي. كان الاثنان اكثر المؤثرين في الاوساط البروتستانية على مدى النصف الثاني من القرن العشرين، بيد ان احدهما خطابه نخبوي والآخر شعبوي. وقد التقى الاثنان فعلا، اللاهوتي الفيلسوف واللاهوتي المبشر، سنة 1960، بمونترو بسويسرا، على مرتفعات بحيرة جنيف وتطارحا الرأي بشأن مسائل التبشير. واقترح اثناءها كارل بارث على غراهام تنظيم حملة انجلة في الهواء الطلق في مدينة بال، مسقط رأسه، بيد ان رسالة غراهام في رأي اللاهوتيين السويسريين حينئذ، تبقى محملة بالبساطة المنفرة وبالتداخل.

لا بد من التعريض على شخصية اخرى عاصرت غراهام، لادراك دعوة هذا الاخير. اختير راينولد نايبور (1892 ـ 1971) ـ المفكر اللاهوتي الامريكي المتشيع للبروتستانية ـ مع غراهام، من بين مئة شخصية امريكية الاهم خلال القرن العشرين، بحسب تقديرات مجلة «لايف» 1990. ادان نايبور مساوئ الرأسمالية، وكان المحرض في حركة ـ social ـ والمنتقد للبنى الاجتماعية السائدة. بسبب gospel هذا المنزع الاجتماعي الملتزم احتد الخصام بينهما. فان كان غراهام يولي النظام الاجتماعي السائد اهتماما باهتا، ويعتنق بشكل عفوي الافكار الرائجة، فان نايبور ينتقد الاوضاع بشكل حاد ويتطلع الى تغييرها، مما خلق لدى هذا الاخير نوعا من الاحتقار للخط التبشيري الساذج لغراهام. وان كان يرى صوابية دعوته، فانه يقر بعدم تناسب هذا النوع من الانجلة مع الرهانات الاخلاقية الحديثة.

قصور في الاداء العلمي وتوفيق في مهمة الوعظ

مع بداية مشواره، كان بيلي يتطلع لنشر دعوته عبر المؤسسة التعليمية، فكان ان ترأس الجامعة الاصولية «نورثواستارن سمينار» بمينيابوليس، من 1947 الى 1952، بعد ان شهد له صديقه و. ب. ريلاي بالكفاءة. لكنه تخلى عن ذلك لاحقا، فما كان مقتدرا على تسيير مؤسسة علمية. والحقيقة ان انتقادات بقيت توجه له حتى فترة متأخرة، خصوصا من الاوساط الكاثوليكية، بنقص ثقافته اللاهوتية وبتدني تكوينه الديني العلمي.

لقد لمس غراهام في نفسه اهلية لجذب الجماهير وبراعة في الانجلة العامة، عبر وعظ ديني ديماغوجي، لا عبر خطاب ديني عقلاني او منطقي. وربما كان فشله في تسيير مؤسسة تعليمية ـ ذكرت. و. ويلسون احد معاونيه انه كان يتعاقد احيانا مع استاذ لغة انكليزية لتدريس مادة الرياضيات لا لشيء الى لعلاقته الحميمة معه ـ دافعا لاكتساحه مجال التبشير الشعبوي المعتمد على الخطابة والاثارة. والواقع ان ميل غراهام للخطاب الشعبوي كان مبكرا، فمنذ 1944 نشط برنامجا في محطة اذاعة (WCFL) بشيكاغو. تجمعت على اثره لديه خبرة في مواجهة الجمهور، تطورت الى التنشيط التلفزي في مرحلة اخيرة.

واثناء حملة صليبية قام بها على بورتلاند، قرر بيلي بعث مشروع تنفيذي (1950)، فكان تأسيس شركة الانتاج ـ World Wide Pictures ـ التي صورت اكثر من مئة فيلم، كما كان 1950 عام افتتاح برنامجه الاذاعي المنتظم «ساعة القرار» ـ Hour of ـ وكان بث التسجيل الاول بأطلنطا في Decision الخامس من تشرين الثاني (نوفمبر) 1950 اثناء حملة انجلة. وبعد خمس سنوات من البث الاذاعي المنتظم، بدا غراهام يتطلع الى الارسال التلفزي. جاء في مذكراته: «لعبت الاذاعة والكتب والافلام دورا هاما في نشر دعوتي، ولكن التلفزيون تجاوزها جميعا». فقد استمر برنامج «ساعة القرار»، على مدى نصف قرن، كما كان غراهام اول شخصية دينية تهرع الى استعمال الانترنت، بمناسبة محاضرة قدمها سنة 1994 على المحرك امريكا اون لاين.

كان بيلي غراهام من اوائل المسيحيين الذين اهتموا بالتبشير الاعلامي، او بما يعرف بظاهرة الكنيسة الالكترونية، التي تلعب فيها وسائل الاعلام دورا اساسيا. فاكثر من مئة صحيفة امريكية خلال سنة 2000، كانت تقدم اجابات عن استشارات دينية يتولى الاجابة فيها غراهام عبر عمود بعنوان «اجابتي» (My Answer). والملاحظ ان تلك الاعمدة لا يجيب فيها بنفسه بل يتولى تحبيرها فريق مرافق، وفي احسن الحالات يلقي عليها نظرة خاطفة.

ومنذ مستهل نشاطه الاعلامي الديني ركز غراهام على مسائل اساسية بالانتقاد مثل: المادية والشيوعية والقنبلة الذرية، فحاز سطوة دعوية على غرار السطوة الفكرية التي كان يحوزها راينهولد نايبوهر، الذي ينعت بـ«لاهوتي الازمة» ومما مهد له الانطلاق في حملاته التبشيرية داخل الولايات المتحدة، فكانت اشهر حملاته الاولى حملة لوس انجلس، سنة 1949، والتي نال تكريما بموجبها مع رفاقه سنة 1950، اذ استقبل من طرف الرئيس الامريكي هاري ترومان. تلك الزيارة القصيرة مثلت منعرجا هاما في حياة بيلي، فعلى اثر ذلك وفي نفس السنة، كان اقرار بعث جمعيته الخاصة: «جمعية بيلي غراهام الانجيلية» (BGEA)، معتبرا القرار عملا الهيا لا خيارا ذاتيا. وعلى اثر بعث تلك الجمعية خصص لبيلي مرتب، بصفته راعي تجمع ديني والمؤسسة تشغل اليوم قرابة 600 بمرتب ثابت، وعديد مئات المتعاونين.

اجتياح العالم: مساعدة انسانية وتحالف مع كنيسة روما

خطب غراهام امام 210 ملايين نسمة مباشرة، في 84 دولة مختلفة، كما استغل الاقمار الصناعية لمتابعة خطبه في دول مختلفة، فالرجل مولع بتوظيف التقنية المتطورة لابلاغ صوته. امتد نشاطه التبشيري على مدى ستة عقود متواصلة، ولم يبلغ سطوته الدينية في الغرب، لا البابا يوحنا بولس الثاني ولا مارتن لوثر كينغ. فمما زاد شعبيته داخل المجتمع الامريكي تميزه عن غيره من الانجيليين التلفزيين، مثل بات روبرتسون، وجيري فالوال، وجيمي سواغارت، وجيم باكر، وفرانكلين غراهام، بالحذر الشديد من اصدار الاحكام المتسرعة على المسائل الاجتماعية ما لم يحتضنها مناخ جامع. فخلال 1971 ـ 1972 حين تفجرت حركة «المسيحيون الهيبي» (Gesus People)، لم يعارض غراهام تلك الحركة على غرار الانجيليين الآخرين، بل سعى لرعايتها، مهيئا لها ظروف التقبل داخل الساحة الدينية الامريكية.

ولتجاوز المجال الامريكي والخروج للساحة العالمية، كان لا بد من تخطي عقبتين:

ـ الاولى، ارتهن تحقيقها باعطاء وجه انساني خيري لجمعيته، حتى تجد موضع قدم في مجتمعات مغايرة ثقافيا ودينيا، وايلاء المسألة الاجتماعية اهتماما في عظاته بعد ان كانت مهملة، وصار يردد باستمرار «لا يمكن رؤية البعض يقودون الكاديلاك وآخرون يركبون عربات تجرها الثيران ويرجى ان يسود السلام في المجتمعات». ووقف وقفة صارمة ضد التمييز العنصري في امريكا، مندد ا بـ (Jim Crow Seating)، اي ان يجلس البيض من امام والسود من خلف، وما يتضمنه من دونية واحتقار. وكان بعث جناح خيري مخصص للمساعدة الانسانية العاجلة تحت اسم: (World Emergency Relief Fund) سنة 1973. وزع، خلال 30 سنة، اكثر من عشرة ملايين دولار، في اعمال خيرية لشعوب منكوبة بكوارث طبيعية وحروب. كما دفعت جمعيته 238000 دولار بعد الزلزال الذي ضرب الهند سنة 1977، مما سمح ببناء 238 مسكنا في مدينة صغيرة سميت سنة 1980 (Billy Graham Nagar)، ومما جعل رئيسة وزراء الهند السابقة انديرا غاندي تثني عليه علنا.

ـ الثانية، مشروطة بتطبيع العلاقة مع الكنيسة الكاثوليكية، والتخلي عن التقليد العدائي المترسخ بينهما. فقد مرت علاقة غراهام بالتجمعات الكاثوليكية المتواجدة بالداخل الامريكي وبالكنيسة المركزية في روما بتطورات، فان كان يخيم التوتر على علاقة غراهام بتلك الكنيسة في البداية، فقد شهدت تقاربا لاحقا، امتد الى التنسيق المشترك. برغم ترسخ عداوة تاريخية بينهما، باعتبار انتمائه الى التيار البروتستاني المنشق عن الكنيسة الكاثوليكية.

فمثلا عند تولي الرئيس الامريكي جون كينيدي مهام البيت الابيض، دب تخوف بين البروتستانتين جراء خشية انحراف امريكا عن تقاليد الآباء، ووقوعها تحت مظلة الفاتيكان، بعد امساك رئيس كاثوليكي بزمام الامور. حاولت عديد الشخصيات البروتستانتية الامريكية، عرقلة بلوغ كينيدي هرم السلطة، وعقدت لقاءات في سويسرا لتدارس الوضع، كان من بينها بيلي غراهام، لكن تلك المحاولات لم تؤت اكلها.

كانت بداية التقارب مع الكنيسة الكاثوليكية عبر الكاردينال كوشينغ الكاثوليكي، الصديق الحميم لعائلة كينيدي، ثم تمتنت العلاقة لاحقا على مستوى كنسي. فلا زال في اعين البروتستانتين والكاثوليك كل منهما «منحرف»، وقد لاقى غراهام في سعيه للتقارب من الدوائر الكاثوليكية معارضة شرسة من الاوساط الانجيلية. ففي تصريح له في جامعة بلمونت اباي الكاثوليكية بكارولينا الشمالية، يقول غراهام: «الانجيل الذي شيد هذه المدرسة هو الانجيل الذي قادني هنا مساء، فهو دائما طريق الخلاص». وتصريح غراهام كون الكاثوليكية تنبني على نفس الكتاب الذي تتأسس عليه البروتستانتية، يعد في المقول الاصولي البروتستانتي انحرافا واعترافا بهرطقات، تصنف من الكبائر في اللاهوت البروتستانتي، مثل: الطقوس المريمانية، وعصمة البابا، والتراتبية الاكليروسية. والمتتبع لسيرة غراهام يلحظ تطورا في علاقته مع الكنيسة الكاثوليكية، تولد عن ادراك لديه ان التنسيق مع الكنيسة الكاثوليكية ضروري، وان المحافظة على التصلب العقدي الاصلي مدعاة الى توليد آثار سلبية.

فمسعى غراهام لاحتواء الكاثوليك الامريكان، وبالمثل مسعاهم لاحتوائه، هو ما دفعهما للتقارب، وتواصلت تلك المغازلة حتى منح الجامعة الكاثوليكية بلمونت اباي الامريكية، بيلي غراهام الدكتوراه الفخرية، سنة 1967.

كان اللقاء الاول لبيلي بهرم الكنيسة الكاثوليكية، البابا يوحنا بولس الثاني، في 13 كانون الثاني (يناير) 1981. تحدثا معا ما يقارب نصف الساعة عن ظهور التيار الانجيلي، والتبشير، وعن مسؤولية المسيحيين امام الرهانات الخلقية المعاصرة. ثم كان اللقاء الثاني سنة 1982، جرى اثناءه تناول تنسيق العمل في جبهة مشتركة ضد المعسكر الاشتراكي. ثم كان لقاء كانون الثاني (يناير) سنة 1990، الذي امتد على مدى خمسة ايام، من الثامن الى الثالث عشر، طرحت اثناءه مسائل ما بعد الشيوعية وتحديات الالفية الجديدة. ونفس التقارب الذي خطاه مع الكاثوليكية سلكه ايضا مع الماسونيين (البناؤون الاحرار)، مما جلب اليه نقمة بعض الاطراف. وبالمثل فقد اثارت عليه مواقفه من بعض المسائل اللاهوتية غضبا، مثل تشجيعه، خلال سنوات 1980 ـ 1990، لعب النساء دور كنسي.

الزيارة والبشارة

تصعيد غراهام الى مستوى النجم المعولم للانجلة البروتستانتية، وبالمثل تصعيد البابا السابق يوحنا بولس الثاني الى نفس المستوى للانجلة الكاثوليكية، تطلب اتمام ربط مهمتي الزيارة بالتبشير، وما يتطلبانه من تقبيل الارض عند النزول واقامة القداس امام جمع غفير، والذي عادة ما يكون في ملعب، وغيرها من مظاهر الديكور المتقن بعناية. فقد كان ذلك هاجس المؤسسة الدينية الغربية، والجديد مع غراهام في زياراته، اعلانه الصريح باطلاق حملة صليبية (Crusade) تتطلع لتمسيح الناس، وربما ذلك ما منعه من الاقتراب من العالم الاسلامي لحساسية المسألة، واقتصرت حملاته على الاوساط المسيحية التقليدية او المناطق الباهتة الحس الديني. ومفهوم «الحملة الصليبية»، يعيد للاذهان صراع كنيسة روما مع بلاد الاسلام، التي تعد معقل الكفر والهرطقة، حسب زعم عباد الصليب، ولخطورة المفهوم وحساسيته تخلى ابن غراهام، فرانكلين، لاحقا عن التسمية واستعاض عنها بكلمة «مهرجان».

وقد اولى غراهام الزيارة اهتماما بعد اكتشافه بركاتها الفائقة، خصوصا بعد زيارتيه الاولين الى انكلترا وفرنسا، اللتين خلفتا اثرا ملحوظا. فقد ساندت الف كنيسة لندنية الحملة، وتجمع للاستماع له آلاف في هارينغاي آرينا، الملعب المغطى الذي يحوي 12000 مقعد. كما احصى البوليس اعداد الزوار للملعب خلال اسبوع، بما يقارب 35000 شخص، وتمت دعوته الى زيارة مؤسسة BBC، والى عدة جامعات لندنية، وكذلك استقبل من طرف رئيس الوزراء وينستون تشرشل. خلال حملته التي استمرت ستة اسابيع، انخفض وزن بيلي سبعة كيلوغرامات. ثم كانت عودته الى لندن للتبشير في مناسبات عدة: سنة 1955، و1966، و1980، و1982، و1984، 1985، و1989.

نجاح الحملة شجعه على اتيان غيرها وتكرارها، نحو باريس وزوريخ وجنيف وروتردام وكوبنهاغن واوسلو وعدة مدن استرالية. وخلال 1956، وسع مجال زيارته الى الهند، والفلبين وهونغ كونغ وتايوان واليابان وكوريا. كما خطب ايضا في ساحة يوويدو في سيول في كوريا الجنوبية، وفي البرازيل، وسنغافورة، والمانيا الشرقية سابقا سنة 1982، وفي الاتحاد السوفييتي سنة 1984 وسنة 1988، وفي الصين سنة 1988، وفي المجر سنة 1989.

كان اسقف كراكوفيا، كارول ووجيتيلا، بابا كنيسة روما المستقبلي يوحنا بولس الثاني، احد العاملين النشطين الذين هيأوا مجيء بيلي غراهام الى بولونيا. واللافت في زياراته عدم توجهه الى اي بلد اسلامي. وبعد ان ارهقته الشيخوخة واعياه السفر، يحاول غراهام اطلاق حملاته الصليبية عبر الانترنت.

وبرغم ان بعض المهتمين يعتبرون بيلي اوشك على الانتهاء، فان الرجل يبقى فاعلا ونافذا في الوسط الامريكي، لما يمثله من مرجعية بين البروتستانتيين الانجيلين، ومن تأثير على الرأي العام والاوساط الاعلامية والسياسية. فعلى اثر احداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) 2001، طلب منه جورج بوش اعداد قداس في كاتدرائية واشنطن حضرته النخبة السياسية، مما يدل على بقائه شخصية مؤثرة في امريكا. وقد حمل نجاحه العديد على تقليده واقتفاء خطاه، ففي الراهن الحالي نجد ابرز مقلديه المبشر الالماني اولريخ برزاني، الذي يحذو حذوه، مدعيا انه تعلم منه ان الملاعب احسن للتبشير من الكنائس.

سؤال ارث غراهام ومستقبل الهيكل الانجيلي الذي اسسه يقلق انصاره، فالرجل كان وراء «لجنة لوزان» ومختلف شبكة مراكز تكوين الانجيليين، وشهرية (Christianity Today) الواسعة الانتشار، ومجلة «قرار» التي توزع بست لغات مع نسخة اضافية بكتابة برايل للعميان، ومركز بيلي غراهام، ومعهد غوردن كونوال. وبرغم تقدم ابنه فرانكلين لوراثته فلا يبدو الشبل من هذا الاسد، وربما تبقى ابنته آن غراهام لوتز الاقرب له من حيث المهارة الخطابية والتحفز الديني، ولكن يبقى ما يميز الابن فرانكلين غراهام شراسته العالية ضد الاسلام.

التليفانجليست والرئيس

على خلاف غيره من المبشرين لم يقد غراهام ولم ينشط تجمعا سياسيا بشكل مباشر، فقد رفض الدخول ضمن لعبة «اليمين المسيحي الجديد» (New Christian Right)، المتبلور في كتلة «الاغلبية الاخلاقية» (Moral Majority) لجيري فالوال، او في «التحالف المسيحي» (Christian Coalition) لبات روبرتسون، وبقي ضمن اليمين المسيحي بشكل واسع، اذ اختار نهجا آخر في التأثير على مراكز النفوذ عبر الاشتغال على ما عرف بـ«الدين المدني» (Civil Religion) والاقتراب المباشر من الرؤساء، مما جعل الرئيس رونالد ريغن يقلده الميدالية الرئاسية للحرية في 23 شباط (فبراير) 1983، وهو اعلى وسام مدني امريكي يحصل عليه الفرد جراء خدمة مدنية للولايات المتحدة. والدين المدني هو عبارة عن ظاهرة من التقوى الجماعية، استلزمت اعلاء عناصر شتى يتقدس بها الكيان العام للمجموعة. وهو دين يعيد قراءة الميراث الاسطوري الديني بتأويلات جديدة، كالخروج والشعب المختار والارض الموعودة واورشليم الجديدة والموت الاضحوي والميلاد الجديد. فان يكن العديد نشطوا في هذا التوجه الديني الاجتماعي، مثل لاهوتيي الحرب الباردة راينولد نايبور؛ او فوستر دولز مدير «المجلس القومي للكنائس» (National Council of Church)، الذي صار سكرتير دولة لدى ايزنهاور؛ او كذلك الكاردينال الكاثوليكي فرانسيس سبالمان (1889 ـ 1967)، المعادي الشرس للشيوعية؛ او الكاردينال ريشارد كوشينغ (1895 ـ 1970)، المقرب من عائلة كينيدي؛ او في الفترة الحديثة، القس جيس جاكسون. فانه لا وجود لاحد من الكنيسة الامريكية ضاهى تأثيره ما بلغه غراهام، سواء على قلب البيت الابيض او على المجتمع الامريكي، اذ نسج غراهام علاقات متطورة مع جل الادارات الامريكية الحاكمة ورؤسائها. فقد كان يلعب كرة الصولجان مع ايزنهاور وكينيدي ونيكسون وفورد. سنضرب امثلة على تلك العلاقات، كانت لغراهام فرصة اللقاء بهاري ترومان (1884 ـ 1972) في البيت الابيض سنة 1950. ولكن قلة تجربة المبشر في البداية، دفعته لافشاء ما دار بينه وبين الرئيس من حديث امام الملأ، مما جعل العلاقة ينتابها الفتور. انتقده ترومان وهو في سن السابعة والسبعين، قائلا: «لم يكن غراهام صديقي، فكل ما يعنيه ان يظهر اسمه على اعمدة الصحف».

في حين مع ايزنهاور كانت العلاقة متينة، واثناء فترة رئاسته بدأ يظهر جليا ما سمي بـ«حضور الرب في البيت الابيض». فمنذ 1951، وتحت تأثير المحافظ التكساسي سيد ريشاردسون الذي شكل لوبيا لصالح المرشح ايزنهاور في انتخابات 1952، اذ كان ريشاردسون هو من دفع بغراهام نحو ايزنهاور.

سنة 1990 عندما طلب بوش الاب مشورة من غراهام اثناء التحضير لغزو العراق، كان جواب المبشر: «اجل، لانها حرب عادلة». كان في الاحداث العظام التي تهز امريكا الرجل البارز، فاثناء تفجير اوكلاهوما سيتي في 19 نيسان (ابريل) 1995، الذي خلف 168 قتيلا ومئات الجرحى، كان غراهام المكلف بمراسم العزاء تخليدا لذكرى الضحايا. كما كلف في وقت سابق بزيارة الجنود الامريكان في الحرب الكورية وفي حرب فيتنام. وتولى مساندة الجيش الامريكي التي عبر عنها هاتفيا لكولن باول والى رئيس الاركان في عملية «عاصفة الصحراء» في بداية حرب الخليج، في 17 كانون الثاني (يناير) 1991.

وربما الحدث الهام الذي يربطه بالرئيس الامريكي الحالي، ان الرجل كان وراء خروج جورج بوش الابن من حالة الادمان وتحوله الى مهووس ومغال ديني. فقد كان موقظ الوعي الديني لدى بوش، ولذا نشأت صلات حميمة بين الرجلين. كان لقاء بوش الاول مع غراهام سنة 1985 عندما نزل الاخير ضيفا على عائلة بوش عندها جرت محادثة بينهما. اثناء تلك المحادثة «زرع المبشر حبة خردل» في روحه، كما ذكر جورج بوش الابن في كتابه «تولي مهمة»، المنشور بنيويورك، سنة 1999، ص: 136. بكلماته يؤكد بوش: «اطلق ـ المبشر ـ تغييرا في القلب... وكانت بذلك انطلاقة التغير في حياتي». وعندما سأله المبشر ان كان يراعي حدود الرب، رد بوش الابن انه ما كان دائما حسن الاستقامة، وان له حساً بنقصان شيء لديه. فطلب منه غراهام وضع حياته بين يدي الرب. لم يكن «الميلاد الجديد» لبوش في التو بل تطلب حولا، فعشية الاحتفال بعيد ميلاده الاربعين مع ثلة من الاصدقاء في كولورادو، قرر التوقف عن الشرب. وانطلق في مشواره الحافل «بورن أغين».

تكاد تكون سوسيولوجيا الاديان في البلاد العربية منعدمة لولا بعض الدراسات المتناثرة في الشأن، برغم ان اقسام علم الاجتماع وكلياته لا يخلو منها بلد عربي. استغرب واتساءل ـ حين احاول رصد الكتابات العلمية في الدين في البلاد العربية ـ عن الاهتمام المركزي الذي يشغل علم الاجتماع العربي، فان لم يكن الدين مركزه ومحوره، فأين الجدوى مما يدرس ويعلم للنشء، والاشكاليات الاجتماعية التي يعيشها العرب والمسلمون، في تاريخهم المعاصر، تكاد تكون دينية، او ذات مسببات دينية مباشرة، والعقد الاجتماعية التي تستعصي على الحل تكاد تكون دينية، والتفجرات الاجتماعية ذات منبع مشابه، والتحولات الاجتماعية تبدو ارهاصاتها دينية، ولكن برغم ذلك فان الاستحواذ على الدراسة الدينية ما زال في حيز «كلية الشريعة» و«الجامعة الاسلامية»، الغائبتين المغيبتين.

ذلك شأن علم الاجتماع في صلته بالظواهر الدينية الداخلية في البلاد العربية، فكيف الحال اذا ارجعنا البصر الى الظواهر الدينية العالمية ومختلف تفرعاتها، من احزاب ومؤسسات ونحل وافكار ومناهج وشخصيات، فهل يفقه العربي ابجدياتها؟ من باب الاطلالة على ذلك الضروري المهمل، تناولنا بالدراسة شخصية دينية في امريكا، كان لها الاثر النافذ على المجتمع والسياسة طيلة منتصف القرن الفائت ولا زالت الى الراهن الحالي من الالفية الجديدة.

السفير البريطاني في واشنطن كريستوفر ماير يقدم لغراهام وسام الفارس الذي منحته الملكة اليزابيث في السادس من كانون الاول (ديسمبر) 2001 .

احد اتباع بيلي غراهام يصلي قبل ان يقدم المبشر عظته وذلك اثناء التجمع الكبير الذي عقد في نيويورك في حزيران (يونيو) 2005

* استاذ من تونس بجامعة لاسابيينسا بروما